(سورة النجم)

{ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ } { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ }
{ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ } { إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ }
{ عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ } { ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ }
{ وَهُوَ بِٱلأُفُقِ ٱلأَعْلَىٰ } { ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ }
{ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ }

{ والنَّجم إذا هوى } أقسم بالنفس المحمدية إذا فنيت وغربت عن محل الظهور وسقطت عن درجة الاعتبار في الظهور والحضور { ما ضلّ صاحبكم } بالوقوف مع النفس والانحراف عن المقصد الأقصى بالميل لها { وما غوى } بالاحتجاب بالصفات والوقوف معها في مقام القلب { وما ينطق عن الهوى } بظهور صفة النفس في التلوين { إن هو إلاَّ وحي يوحى } إليه من وقت وصوله إلى أفق القلب الذي هو سماء الروح إلى انتهائه إلى الأفق الأعلى الذي هو نهاية مقام الروح المبين { علّمه } روح القدس الذي هو { شديد القوى } قاهر لما تحته من المراتب مؤثر فيها تأثيراً قوياً { ذو مرّة } ذو متانة وإحكام في علمه لا يمكن تغيره ونسيانه { فاسْتوى } فاستقام على صورته الذاتية والنبي بالأفق الأعلى لأنه حين كون النبي بالأفق المبين لا ينزل على صورته لاستحالة تشكل الروح المجرد في مقام القلب إلا بصورة تناسب الصور المتمثلة في مقامه ولهذا كان يتمثل بصورة دحية الكلبي وكان من أحسن الناس صورة وأحبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ لو لم يتمثل بصورة يمكن انطباعها في الصدر لم يفهم القلب كلامه ولم ير صورته. وأما صورته الحقيقية التي جبل عليها فلم تظهر للنبي عليه السلام إلا مرتين عند عروجه إلى الحضرة الأحدية ووصوله بمقام الروح في الترقي وعند نزوله عنها ورجوعه إلى المقام الأول عند سدرة المنتهى في التدلي.

{ ثم دنا } رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله وترقى عن مقام جبريل بالفناء في الوحدة والترقي عن مقام الروح، وفي هذا المقام قال جبريل عليه السلام:

« لو دنوت أنملة لاحترقت « ، إذ وراء مقامه ليس إلا الفناء في الذات والاحتراق

بالسبحات { فتدلى } أي: مال إلى الجهة الإنسية بالرجوع من الحق إلى الخلق حال البقاء بعد الفناء والوجود الموهوب الحقاني { فكان قاب قوسين }

أي: كان عليه السلام مقدار دائرة الوجود الشاملة للكل المنقسمة بخط موهوم إلى قوسين باعتبار الحق والخلق، والاعتبار هو الخط الموهوم القاسم للدائرة إلى نصفين. فباعتبار البداية والتداني يكون الخلق هو القوس الأول الحاجب للهوية في أعيان المخلوقات وصورها والحق هو النصف الأخير الذي يقرب منه شيئاً فشيئاً وينمحي ويفنى فيه، وباعتبار النهاية والتدلي فالحق هو القوس الأول الثابت على حاله أزلاً وأبداً والخلق هو القوس الأخير الذي يحدث بعد الفناء بالوجود الجديد الذي وهب له

{ أو أدنى } من مقدار القوسين بارتفاع الإثنينية الفاصلة الموهمة لاتصال أحد القوسين بالآخرة وتحقق الوحدة الحقيقية في عين الكثرة بحيث تضمحل الكثرة فيها وتبقى الدائرة غير منقسمه بالحقيقة أحدية الذات والصفات.

{ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَآ أَوْحَىٰ } { مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ }

{ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ } { وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ }

{ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ } { عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ }

{ فأوحى إلى عبده } في مقام الوحدة بلا واسطة جبريل عليه السلام { ما أوحى } من الأسرار الإلهية التي لا يجوز كشفها لصاحب النبوّة { ما كَذَبَ الفؤاد ما رأى } في مقام الجمع والفؤاد هو القلب المترقي إلى مقام الروح في الشهود المشاهد للذات مع جميع الصفات الموجود بالوجود الحقاني، وهذا الجمع هو جمع الوجود لا جمع الوحدة الذي لا فؤاد فيه ولا عبد لفناء الكل فيها المسمى باصطلاحهم: عين جمع الذات، وأما هذا الجمع فيسمى الوجه الباقي أي: الذات الموجودة مع جميع الصفات.

{ أفتمارونه } أفتخاصمونه على شيء لا تفهمونه ولا مكنكم معرفته وتصوّره فكيف يمكنكم إقامة الحجة عليه؟؟؟

وإنما المخاصمة حيث يمكن تصوّر الأمر المختلف فيه ثم الاحتجاج عليه بالنفي والإثبات فحيث لا تصور فلا مخاصمة حقيقية.

{ ولقد رآه } أي: جبريل في صورته الحقيقية { نزلة أخرى } عند الرجوع عن الحق والنزول إلى مقام الروح { عند سدرة المنتهى } قيل: هي شجرة في السماء السابعة ينتهي إليها علم الملائكة ولا يعلم أحد ما وراءها وهي نهاية مراتب الجنة يأوي إليها أرواح الشهداء فهي الروح الأعظم الذي لا تعين وراءها ولا مرتبة ولا شيء فوقها إلا الهوية المحضة، فلهذا نزل عندها وقت الرجوع عن الفناء المحض إلى البقاء ورأى عندها جبريل عليه السلام على صورته التي جبل عليها { عندها جنة المأوى } التي يأوي إليها أرواح المقرّبين.

{ إِذْ يَغْشَىٰ ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ } { مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ }
{ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ } { أَفَرَأَيْتُمُ ٱللاَّتَ وَٱلْعُزَّىٰ }
{ وَمَنَاةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلأُخْرَىٰ } { أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلأُنْثَىٰ }
{ تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ } { إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ
وَآبَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ
وَمَا تَهْوَى ٱلأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰ }
{ أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ } { فَلِلَّهِ ٱلآخِرَةُ وٱلأُولَىٰ }
{ وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً
إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰ }
{ إِنَّ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلاَئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلأُنْثَىٰ }
{ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ
وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئاً }
{ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا }
{ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ } { وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ
لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَاءُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى

} { ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ ٱلإِثْمِ وَٱلْفَوَاحِشَ إِلاَّ ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِّنَ ٱلأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلاَ تُزَكُّواْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ }

{ إذ يغشى السدرة } من جلال الله وعظمته { ما يغشى } لأنه صلى الله عليه وسلم كان يراها عند تحققه بالوجود الحقاني بعين الله فرأى الحق متجلياً في صورتها، فقد غشي السدرة من التجلي الإلهي ما سترها وأفناها فرآها بعين الفناء لم يحتجب بها وبصورتها ولا بجبريل وحقيقته عن الحق، ولهذا قال: { ما زاغ البصر } بالالتفات إلى الغير ورؤيته { وما طغى } بالنظر إلى نفسه واحتجابه بالأنائية.

{ لقد رأى من آيات ربّه الكبرى } أي: الصفة الرحمانية الذي يندرج فيها جميع الصفات بتجليه تعالى فيها بل حضرة الاسم الأعظم الذي هو الذات مع جميع الصفات المعبر عنه بلفظة الله في عين جمع الوجود، بحيث لم يحتجب عن الذات بالصفات ولا بالصفات عن الذات.

{ وكم من ملك في السموات } إلى آخر الآية، الشفاعة من الملائكة: هي إفاضة الأنوار والإمداد على المستشفع عند استفاضته بالتوسل بالشفيع الذي هو الوسيلة والواسطة المناسبة بينهما واتصال فعلي، هذا شفاعتهم في حق النفوس البشرية لا تكون إلا إذا كانت مستعدّة في الأصل، قابلة لفيض الملكوت. ثم تزكوا عن الهيئات البشرية والغواشي الطبيعية بالتوجه إلى جناب القدس والتجرّد عن ملابس الحس ومواد الرجس فتستفيض من نورها وتستمد من فيضها وتتصل بها وتنخرط في سلكها، فتتقرّب إلى الله بواسطتها. فالاستعداد القابل الأصلي هو الإذن في الشفاعة والرضا بها هو الزكاء والصفاء الحاصل بالسعي والاجتهاد، فإذا اجتمعا حصلت الشفاعة وإن لم يكن الاستعداد في الأصل أو كان وقد تغير بالعلائق والغواشي ولم تبق على صفائها فلم يكن إذن ولا رضا من الله فلا شفاعة، فقوله: { لا تغني شفاعتهم شيئاً } معناه: عدم الشفاعة لا وجودها، وعدم إغنائها لاستحالة ذلك في عالم الملكوت فهو كقوله:

ولا ترى الضب بها ينحجر

{ أَفَرَأَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ } { وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ }

{ أَعِندَهُ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ } { أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ }

{ وَإِبْرَاهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰ } { أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ }

{ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ } { وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ }

{ ثُمَّ يُجْزَاهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلأَوْفَىٰ } { وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ }

{ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ } { وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا }

{ وَأَنَّهُ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلأُنثَىٰ }

{ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ } { وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلأُخْرَىٰ }

{ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ } { وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ }

{ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً ٱلأُولَىٰ } { وَثَمُودَ فَمَآ أَبْقَىٰ }

{ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ }

{ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ } { فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ }

{ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ }

{ هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلأُوْلَىٰ }

{ أَزِفَتِ ٱلآزِفَةُ } { لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ }

{ أَفَمِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ }

{ وَتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونَ } { وَأَنتُمْ سَامِدُونَ } { فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ }

{ وإبراهيم الذي وفى } حق الله عليه بتسليم الوجود إليه حال الفناء في التوحيد بالقيام بأمر العبودية وتبليغ الرسالة والنبوة في مقام الاستقامة أو أتم الكلمات التي ابتلاه الله بها وهي ما ذكر من الصفات. وقرىء: { وفى } ، مخففاً، أي: بعهده المأخوذ ميثاقه عليه في أول الفطرة بأن ثبت عليه حتى بلغ مقام التوحيد المشار إليه بقوله:

{ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ }[الأنعام، الآية:٧٩].

{ ألاَّ تَـزر وازرة وِزر أخـرى } لأن العقـاب يترتـب عـلى هيئـات مظلمـة رسـخت في النفـس بتكـرار الأفاعيـل والأقاويـل السـيئة التـي هـي الذنـوب وكذلـك الثـواب إنمـا يترتـب عـلى أضدادهـا مـن هيئـات الفضائـل، كـما قـال تعـالى:

{ وأن ليـس للإنسـان إلا مـا سـعى } بخـلاف الحظـوظ العاجلـة المقسـومة المقـدّرة وإن كانـت تلـك أيضـاً مسـتندة إلى قضـاء مـن اللـه وقـدر، لكـن المعتـبر هـو السـبب القريـب الموجـب لـكل منهـما. النشـأة الأخـرى تقـع عـلى أمـور ثلاثـة:

الأول: إعـادة الأرواح إلى الأجسـاد للحسـاب والجـزاء المرتـب عـلى أعـمال الخـير والـشر بالمصـير إلى النـار أو جنـة الأفعـال.

والثاني: هو العوده إلى الفطرة الأولى والرجوع إلى مقام القلب.

والثالث: هو العود إلى الوجود الموهوب الحقاني بعد الفناء التام.

والأول لا بد لكل أحد منه سواء كانت الأجساد نورانية أو ظلمانية دون الباقيين.

{ أزفـت الأزفـة } إن حملـت عـلى القيامـة الصغـرى فقربهـا ظاهـر، والكاشـفة إمـا المبينـة لوقتهـا أو الدافعـة وإن حملـت عـلى الكـبرى فقربهـا مـن وجهـين:

أحدهـما القـرب المعنـوي لأنهـا أقـرب شيء إلى كل أحـد لكونـه في عـين الوحـدة وإن كان هـو بعيـداً عنهـا لغفلتـه وعـدم شـعوره بهـا، والثـاني: أن وجـود محمـد وبعثتـه عليـه السـلام مقدمـة دور الظهـور وأحـد أشراطـه، ولهـذا قـال:

« بعثت أنا والساعة كهاتين »

وجمع بين السبابة والوسطى، وتظهر بوجود المهدي عليه السلام

{ ليـس لهـا مـن دون اللـه كاشـفة } أي: نفـس مبينـة لامتنـاع وجـود غـيره وعلمـه عندهـا { فاسْـجدوا للـه } بالفنـاء { واعْبـدوا } بالبقـاء بعـده، واللـه أعلـم.